

أطل عليّ جاري بوجهه العتيق
وقال : « أليس عجيباً أن لا نرى
الشيخ مبروك لأيام؟ »
قلت وأنا لم أرفع يدي عن شعر
الزبون الذي اعلمت فيه مقصي :

— لقد اقتدته أنا الآخر ،
ولا ادري ماذا ألمّ به .. لعله مريض .

— عجيب ، ظننت الشيخ مبروك لا يمرض .

— ولم ؟ أليس ببشر مثلي ومثلك ؟

— بلي ولكن ..

— ولكن ماذا ؟

ولم يجد جاري ما يقوله ، فاستدار وتركني افكر في
الشيخ مبروك الذي لم يزرننا مؤخراً وهو الذي لم يعودنا على
التخلف قط ، اذ دأب على المرور بنا يومياً منذ عشرة اعوام
ولم يعفنا إلا في ايام العطل والاعباد .

كان الشيخ مبروك شخصية فيها الكثير من وجوه الغرابة ..
وكان عهدي به منذ عملت صيباً في دكان الحلاق التي آل اليّ
امرها فيما بعد كما هي العادة ، وكان يلذ لي كثيراً ان أتأمل قامته
الفارعة ووجهه القسيم الملتحي وتلك المسبحة الطويلة السوداء ،
فتروح عيناى تنتقلان من عمته الحائلة اللون الى جلبابه القديم
الذي كان ابدآ نظيفاً ، الى خفين ينتعلهما ويمشي بها مشيته الخفيفة .
ولم اكن اعلم في بادئ الامر سر زيارته اليومية المنتظمة ،

فقد كان لا يجلس ولا يتباطأ ، يدخل فيلقي السلام بصوت خفيض
ثم تمتد اليه يد معلمي بقرش واحد يلقيه هذا بجيبه ثم ينصرف
عنا الى جارنا ، وبعد الى صف طويل من حوانيت الحلاقين
والمنجّدين وباعة الملابس القديمة يجمع منهم القروش . وحررت
في ماهية الشيخ مبروك واستثار فضولي : أهو شحاذ ؟ كلا ،
ليست له هيئة الشحاذين ولا نفسيتهم ولا تكلفهم لما يستدر
العطف ويحرك الحسنة .. ففيه نظافة دائمة وفيه كبرياء تلجم
لسانه فلا يفوه بكلمة الشكر إلا بصوت خفيض .

ولم يدعونه (الشيخ)؟ . ما اكثر المتمشيخين ! ولكنه ايضاً
لا يشبههم . عهدي بهؤلاء يجلسون فيتلون من آيات الكتاب
الكريم ما تيسر منها . ثم يشربون من القهوة قدحاً او اثنين

ويقبضون بعدها ما تيسر ايضاً وهم
يدعون للمعطي بان يترد له قرشه قروشاً

الشيخ مبروك

ون يوسع الله له في الرزق لتنبسط
كفه بالعطايا .. اجل ليس الشيخ
مبروك رغم العمة واللقب واحداً من
هؤلاء .. وهو في شكله العمومي
اشد ما يكون شهباً بالمغاربة الذين
يتعاطون حرفة فتح البخت واشياء

اخرى الى جانبها . إذن لِمَ يواظب الرجل على هذه الزيارات

اليومية ولِمَ يمنحه معلمي وجيرانه قروشهم راضين ؟

واستحييت ان اسأل معلمي ، وكان الاولى ان ادرك ان

الثروة من مستلزمات الصنعة . فلا استحيي ولا يقف على لساني

السؤال ، ولكنني تشجعت يوماً وسألت فقال معلمي : « والله

يا ابني لا ادري ما اقول ، نحن تبارك بالرجل ، ففي طلعتة بين

وبركة ينزلان على المحل . لقد اسميناه مبروكاً فضاع اسمه

القديم وقد يكون محمداً او علياً او خميساً ولكن ما علينا .

مبروك هو الاسم الذي اصطلحنا على مناداته به . اما الشيخ

فهو من متمات الجبة والعمة والمسبحة .

هو لا يطلب قط ولا يثقل علينا ، فاذا اعطيناه اخذ وإذا

امسكنا انصرف غير لاثم .. ان في وجهه قناعة غريبة ، فكان

الدنيا لديه ليست باكثر من لقمة تقيم الاود وصحن مسجد

ياوي اليه إذا جن الليل .

وسألته وقد شاقني امر هذا الانسان : « اما من زوج

له وابناء ؟ »

وقهقه معلمي قهقهة اهتزت لها عروق رقبته وقال « زوجة ؟

زوجة للشيخ مبروك ؟ وهو الذي لا تُذكر امامه النساء إلا

ويطرق في اعراض . لا يا ابني ، هذا رجل زهد في دنياه

ليشتري آخرته . »

وسكت معلمي حين دخل زبون رمى بنفسه على الكرسي

الحشن واسلم رأسه للمقص وفتح اذنين كبيرتين لحكايات معلمي .

وظللت اعمل في دكان الحلاق او (صالون السرور والانشراح)

كما كان صاحبه يسميه سنين عديدة ، ولا اذكر ان وجه الشيخ

مبروك غاب عنا خلاها يوماً واحداً الا في ايام التعطيل .

و كنت اترقب بحبته بشوق ، يدخل فيحني ويقبض وينصرف

لا يلوي على شيء .. كدأبه منذ دخلت « الكمار » صغيراً الى

ان صار اليّ امر (صالون السرور

والانشراح) بعد ان مات معلمي .

بقلم سميرة عزام



- من هم؟ عن تتكلم؟
 – انها امرأة سأ تزوجها .
 – انت تزوج يا شيخ مبروك؟ وهل تفعلها؟
 وعاد يتسم ابتسامة كشفت عن صفين من الاسنان البيضاء
 وقال – مكتوب .
 ووقفت احدق الى وجهه لم اصدق عيني ولا اذني ، وقلت
 الرجل يهذي . قال وهو يستحني :
 – انت لا تصدقني يا حسن .. لعلك تظن بي الجنون .
 قلت – تماماً ، اتمرح يا شيخ .?
 – لا والله بل سأ تزوج .
 – بمن؟

اذن فليس بالكثير لو افتقدت الشيخ مبروك وعراي قلق
 خفيف لا تقطاعه اسبوعين بكاملها . ولكنه جاء بعدها . جاء
 وكان الوقت عصراً فحياً واقترت مني فمدت اليه يدي بالقرش
 ولكنه ابتسم ابتسامة حائرة فلما رأيتها على وجهه وقال « لا لم
 اجيء لهذا .. ولا قروش بعد اليوم »
 ولم افهم ما يعني اذ لم اسمعه قبل ان يفوه بهذا القدر من الكلام
 دفعة واحدة فقلت « لم نرك لا يام .. » فاجاب – كنت مشغولاً
 ثم غير نغمة صوته وقال : الاتحلق لي لحيتي ؟
 قلت – احلق لحيتك ؟
 – اجل لحيتي ، انهم يريدونني حليقاً كالافندية . وضحك
 ضحكة خلتها تخرج من بطنه .

المكتوب يعرف من عنوانه ..!

فاذا كانت الكتابة
واضحة
جيدة
جميلة

فالسفر
في
ماكينات

كونتينايل

الآلة الكاتبة العربية الألمانية

مهارة الى

بلد المحربات الزائفة

تساؤل

« راح طفل زنجي يستصرخ امه ، أكلت الفيلان البيض أباه ... »

لما اقتربت منه لأمس بدلته الزرقاء ،
لأن قلبي هف لها ، لأن تكون لي مثلها :
حذار أن تفعل ، اليك عني ايها العبد القبيح ،
حذار أن تدنسي ! وبصق في وجهي !
احقاً أني قبيح يا أماه ؟
هيا قولي لي .. قولي
وعندما قلت له : هل آذيتك يا اخي ؟
ماذا يعضبك مني يا أخي ؟
بربك ماذا ؟
إني انساني المولد !
ألستُ مثلك ؟
ألست افضل من كلبك الأسود ؟
الكلب الذي تحتضنه امك ؟
فاذا به يهيج و كالبعول يرفسني ويلطمني !
أماه ، أكانت كلماتي قاسية معه ؟
إذن لماذا اعتبر كلامي إهانة له ؟
أماه ، وعندما مر أبي ،
ورآني أعرج وأبكي ارتعش غضباً ،
لانه ما كاد يشرع بتعنيف الصبي ، ترومان
الغضبان مني ، حتى احتاطته البهائم البيض ،
فلم أعثر من بينهم على أبي
وكأنه كان ليلاً أطبق عليه نهاران ؟
* *
وهنا رفعت الأم الصامته وليدها
الى صدرها يخنقها النشيج العظيم !
ومن خلل الدموع أطلت عيناها
الكسيرتان إلى إله البيض ،
المهارب من وحشية البيض إلى السماء !
بغداد فالح العسكري

امام ، لماذا ولدتني بهذا اللون المهين ؟
بهذا اللون الزفتي اللعين ؟
اللون الذي ترصف منه شوارع المدينة ؟
لقد هشت قارورة احلامي البيضاء يا أماه !
لماذا ابتلعت حبة سوداء يا أماه !؟
هل الطبيب أشار عليك بابتلاعها ؟
هذا الخلوق الذي لا وجود له في عالمي ،
إلا في القاموس ، كما قلت لي ..
لكن يقال انه يعالج المرضى البيض ..
لماذا ، يا أماه ، حين فار جسمي بالسخونة ،
بالأمس لم يزري ؟ هيا قولي لي لماذا ؟
حتى ولم استطع ان احلم به ..
أكان يا أماه ، يخاف ظلمة وجهي ؟
أخشى على نفسه ان يعلق به لوني ؟
ولا أحد بعد بوسعه ان يقرأ
اسمه في القاموس ، إذ يمر به ..
فيموت ويندثر كلفظة قديمة !
أليس كان بقدورك يا أماه ،
بعد الذي فعلت ، ان تصبغي
بشرتي بدهان ابيض كحليب عزتي ؟
حتى لا تسخر مني هذه البهائم البيض !
أماه ، أماه ، هل ولدتني في سرداب مظلم ؟
فامتصت بشرتي الظلمة القاتمة الملعونة ؟
هل خفت علي من النور لثلا يلامس جلدي !
فيصطبغ بكساء ثلجي تصنع منه اودية الموت
تلك الأكفان الخيفة المقرقة البيض
أتروعك حقاً إلى هذا الحد ؟
أماه ، إن الصبي ترومان قال لي ،

— من واحدة لا تعرفها ، اما انا
فمعرفتي بها قديمة ، كانت فتاة صغيرة ،
وكنت احبها ، ولما شئت ان اتزوجها
أبى علي ابوها ذلك وأعطاه لابن اخيه ،
وكان رفضه صدمة لم احتملها فهتت على
وجهي كالصعاليك . شعرت بانني رجل
لا صلة له بالناس او الحياة فعشت كما
عرفتني .

وسكت مبروك قليلاً وبلبل شفتيه
بلسانه وقال :

وخلتني نسيته ومات حبها في قلبي
إلى ان رأيتها قبل شهر من الزمن بعد
ان عرفت ان زوجها قد مات وترك لها
طفلة ، وشعرت يا حسن بانني لا زلت
احبها ذلك الحب الذي لم يعيش سواه في
نفسي ، فما رفعت قدمي من العتبة قبل ان
اعرض عليها الزواج ..

وقبلت بالطبع إذ انها ستجسد في
حماتي ما يعصمها عن التشرد ، ولا بد
لي من عمل الآن .. سأكون صاحب
عيال .

هذه هي الحكاية يا صاحبي .. مالك
ألا تقص لي لحيتي ؟ كيف اعمل بها ؟
قلت وانا بين مكذب عيني واذني
ومصدقها : غريب . ولم أزد بل حملت
الموسى وراحت لحية الشيخ مبروك
تتناثر امامي على الأرض سوداء كريش
الغراب ، وشعرت وانا ازيل عنه لحيته
بانني امسح عنه الاسطورة .. اسطورة
البركة .

سميره عزام

مطبعة دار الكتب - بيروت - بناية العازارية

للطباعة والتجليد المتقن

العاذارية ٠٩٩